من صميم القلب :

لك الله أيها العربي ! ...

للاستاذ صبحي ابراهيم الصالح

لك الله أيها العربي ! كم ثارت في وجهك الشدائد فصمدت لها في بطولة ، واعترضت طريقك العقبات فذللتها برجولة ! وكم أتى الدهر بنيانك من القواعد فاستأنفت البناء ، وداهمت حياتك النائبات فصبرت على القضاء !

لك الله ما أفقر دنياك وأغنى قناعتك ، وما أتعس عيشك وأسمى غايتك ، وما أبخل زمانك وأسخى راحتك !

أنت للفقر تدافعه ، وللبؤس تصارعه !

أنت للضعف تغالبه ، وللذل تحاربه !

أنت للعدو تجاهده ، وللدهر تعانده !

أنت لوزرائك تدينهم على التكاسل ، ولزعمائك تحاسبهم على التخاذل ، ولعلمائك تشكو ما هم فيه من تجاهل !

أنت لأغنيائك تألم من بخلهم ، ولفقرائك تبكي على ذلهم ، ولنفسك تتوجع على ما أصابها من حرمان ، وما تجرعت من كؤوس الهوان !

بل أنت للمصائب كلها ، وللخطوب جميعها ... فما أعظم ما تلقاه ، وما أقل حظك في الحياة !

***

كأني بفتن الدنيا تبحث عن محتمل لها فلا تظاهر إلا عليك، وبمحن الزمان تنشد صابراً عليها فلا تتداعى إلا إليك ، فإذا عصفت القوى يلتقي الأشواك في دربك ، وإذا ضعفك الوروث يدفن الاستقامة في قلبك !

فلك الله من شاك كظيم لا يجد سميعاً !

ولك الله من مجاهد عظيم لا يلقى تشجيعاً !

***

أين رجالك الذين وعدوك الكرامة فأذلوك ، وزعماؤك الذين لبسوا مسوح الرهبان فأضلوك ، وأغنياؤك الذين شربوا دمك ثم استأكلوك ، وعلماؤك الذين اتخذوا آلهتهم هواهم ثم أهلوك ؟

أين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ليقاتلن صفاً كالبنيان المرصوص أو يحرروا فلسطين ، وليهضن نهضة واحدة للغاصبين الغادرين ، وليلحقن بالطرد أذل الشعوب ، جرائم الفساد ، لصوص العالمين ؟

أين الذين أشعلوا بنارهم حماستنا ثم أطفأوها بمائهم ، وفتحوا بهتافهم عيوننا ثم أطبقوها برقادهم ، وما زالوا يعالجوننا بالعاطفة ونحن إلى العقل أحوج ، ويأخذوننا بالارتجال ونحن نروم النظام ، ويرقدوننا بالمسكنات ونحن نلتمس الشفاء !

***

إن هؤلاء سواء عليهم أدللتهم أم لم تدللهم لا يكترثون ، وسواء عليهم أذكرتهم بتقصيرهم أم لم تذكرهم لا يأبهون ، وسواء عليهم أصرحت لهم أم عرضت بهم لا يبالون .

ولو أنك أكثرت الصراخ المختنق ، ومزقت الصدر الحرج ، وقطعت الحنجرة المكروبة ، وأطلقت الحشرجة المكبوتة ، فلن تسمع منهم إلا ألسنة بليدة ، وأصواتاً ندية ، ربما أرضت البيان الرفيع ، ولكنها لا ترضي الحق الصريح !

ولكن ... هون على نفسك ، فلا تريض باليأس قلبك ، ولا تمصر بالقنوط فؤادك ، بل اصرخ أيها العربي في النفوس الراقدة علها تفيق ، وفي الأرواح الهامدة علها تتحرك ، وفي الضمائر الميتة علها تحيا ، وفي المشاعر الساكتة علها تنطق ، فقد اقتربت النار وقضي الأمر ، وقد داهمك اللصوص بالخيانة والغدر ، وقد سرقوا متاعك بالخداع وبالمكر . على أنك إذا وثبت وثبك ، وأطعت قلبك ، أطفأت النار قبل أن تلتهم الديار ، ولحقت باللصوص الجبناء قبل أن يولوا الأدبار ، واسترجعت متاعك قبل أن يتواروا عن الأبصار !

***

وإني لأحذرك أيها العربي قوماً كالثعالب ، أنت تعرفهم بلحنهم الكاذب ، فقد لدغت من جحرهم مرات « والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين » ولقيت من مكرهم ويلات ، والمكر